
المثلية
في الشرق الأوسط
حقائق.. وتاريخ!
بقلم: يعرب
KUWAIT
Fars
Persian Gulf
BAHRAIN
QATAR
DOHA
ABU DHABI
Nejd
RIYADH
UNITED ARAB EMIR
SAUDI ARABIA
Arabian Pen.
YEMEN

[ثلاثية مفاهيم عربية 2]

[المثلية]

في الشرق الأوسط

حقائق .. وتاريخ!

فَلَو كانَ ما بي مِن حَبيبٍ (مُقَنَّع)   عُذِرتُ، وَلَكِن مِن حَبيبٍ (مُعَمَّمِ)

رَمى وَاِتَّقى رَميِي، وَمِن دونِ ما اِتَّقى   هَوىً كاسِرٌ: كَفّي، وَقَوسي، وَأَسهُمي

[المتنبي -965 AD]

إليك يامن تقرأ هذه الأوراق ..
لا تـــعجل!
وأنظر إليها بـ "عيني قلبك" لا "بعيني رأسك"، فإن العرب تقول:
إذا أَنتَ لَم تَعشَق وَلَم تَدرِ مَا الهَوى
فَكُن حَجَراً مِن يابِس الصَّخر جَلمَدا
ولا تظن أنك ستقع في كلامي على بحث مفصل أو كتاب مستوعب!
فإن الامر أكبر من ان تحيط به هذه الأوراق.
والأفــكار فـــي ذلـــك عـــندي كـــثيرة.
والـطريق وعر شائك محفوف بالمخاطر.
وإنما هذه [صرخة] في زمن كثر فيه اللغط وضربت الفوضى جميع ميادينه.
فأنصت لها!

وفي الجعبة الكثير ..

- ١ -

المثلية في التاريخ العربي

يخطئ من ظن أن "المثلية" شيء جديد على الشرق الاوسط ، غريب عنه، دخيل عليه .. فإن هذا يُكذّبه التاريخ والواقع.

وذلك ان المجتمع في الشرق الاوسط مجتمع "ذكوري" بطبعه، فالعربي بفطرته مشغوف بالرجولة معجب بها، معظم من شأن الرجال ناظر إليهم نظرة رضى ترى فيهم انهم مصدر كل خير وجمال في هذا الكون حتى قالوا:

لولاهم كانت ظلاما بأهلها ولكن هم فيها بدور وأنجم **(1)**

ولذلك كان من ثقافة العربي ما ذكره الجاحظ 869 م بقوله
[إن من فضل الغلام على الجارية: ان الجارية إذا وصفت بكمال الحسن قيل (كأنها غلام)] رسالة "مفاخرة الجواري والغلمان"، فهذا هو عرف العرب في ذوقها وأدبها!

ومن هنا فلا عجب في ان يكون اول ظهور للمثلية في تاريخ البشرية كنظام اجتماعي كان في الشرق الاوسط في قرى سدوم من ارض الاردن شمال الجزيرة العربية.
فالمثلية إذن أمر قديم في الشرق الأوسط، وعوامل وجودها في هذه المنطقة متوفرة ربما اكثر من غيرها، وقد استمر هذا الوجود عبر تاريخ المنطقة الطويل حيث كانت تعرف قديما بإسم (الْفُتُوّةْ) أي "الفروسية" -fraternity/boys'club-، و التي هي رمز القوة والخير والجمال! [و"الفتوة" صفة الفتى اشتقت منه كـ"الرجولة" للرجل، واستعيرت هذه الكلمة منذ ايام الجاهلية للشجاعة والكرم اللذان هما اكرم الصفات عند العرب، وكثرت صفات الفتى -الحسنة- حتى استوجب المدح بكليتها] "الفتوة" لابن معمار، و العرب اذا ارادت ان تمدح الشيء وصفته بالفتوة لما سبق من كون الرجل عندهم هو مصدر الجمال فكل جميل في هذا الكون فإليه ينسب! ، وقد مر معنا نقل الجاحظ في ان من مدحهم للفتاة تشبيههم اياها بالغلام .. وهذا كله مما يكشف لك عن نفسية القوم وذوقهم.

وإنما سميت "المثلية" عندهم (فُتُوّةْ) لهذا المعنى مدحا لها، فقد كانوا يعدونها من "كمال الرجولة" ويسمون أهلها (الفِتْيَانْ) تعظيما لهم! ، يقول الدكتور مصطفى جواد [في الربع الاول من القرن الثالث من الهجرة -بداية القرن العاشر الميلادي- تميزت الفتوة اللاهية تميزا تاما بآدابها وتقررت احكامها ومصطلحاتها، واستتبع ذلك ان يكون لها قضاة كـ "أبي الفاتك بن عبدالله الدليمي" الظريف الملقب بـ (قاضي الفتيان)، وكان يسكن ببغداد عند باب الكرخ ويجتمع عنده الفتيان وهو يملي عليهم "آداب الفتيان" **(2)** ولما سأل بعضهم قاضي الفتيان عن دعوى الزناة -المقصود غير المثليين- بأن اللواط ضرب من الزنا؟ اجاب قائلا: (ذلك من اراجيف -إشاعات- الزناة) فهو يعد اللواط اشرف من الزنا فلا ينبغي ان يسوى بينهما ، وكانت (الفتوة) في ذلك الدهر سريعة الانتشار كما قال الجاحظ: إن الشاطر ليخلو احدهم بالغلام الغرير فيقول له (لا يكون الغلام "فتى" حتى يصادف فتى -اي يكون مثلي- وإلا فهو "تكش"**(3)** فما الماء العذب البارد

بأسرع في طباع العطشان من كلمته اذا كان للغلام ادنى هوى في الفتوة -وذلك للنفسية العربية التي سبق بيانها-] مختصرا من مقدمته على "الفتوة" لإبن معمار.
فكان غير المثليين في ذلك الزمان يتحرجون من عدم مثليتهم ويعتذرون عن ذلك بأعذار يحاولون بها اقناع المثليين ليسووا بينهم في الفروسية وكان المثليين يرفضون ذلك! ،وهو امر لم يوجد حتى اليوم في غير الشرق الاوسط -سوى في الحضارة الإغريقية**(10)**- بسبب طبيعة النفسية العربية، قال ابو فراس الحمداني:

لقد ضل من تحوي هواه خريدة**(4)** وقد ذل من تقضي عليه كِعاب

ولكنني والحمد لله جازم أَعِزُ اذا ذلت لهنّ رقاب

ولا تزال بقايا هذه (الفتوة) موجودة في العالم العربي إلى يوم الناس هذا، وما ظاهرة "الدرباوية" في السعودية اليوم الا صورة من صور الفتوة القديمة وامر المثلية بين اصحابها مشهور معلوم تراه حتى في فنونهم الشعبية، وانظر على سبيل المثال أغاني [طاهر كتلوج] رحمه الله والتي لاقت قبولا واسعا عند الناس في منطقة الحجاز واشتهرت بينهم حتى اصبحت جزءا لا يتجزأ من ثقافة المنطقة ، ولا يزال "الدرباويون" يعدون المثلي أكمل رجولة وشهامة من غيره وهي صورة مستقرة في نفوس أبناء العرب إلى يومنا هذا ومن نظر في المجتمعات الدراسية في السعودية -البنين والبنات- وجد المثليين يتصدرون فيها لقيادة زملائهم -Alpha's- الذين يبادرون إلى تسليم القيادة لهم بمجرد معرفتهم بمثليتهم -الامر الذي لا يخفيه أحد في المجتمعات الطلابية!- لإرتباط مفهوم المثلية في أعماق نفوسهم بمعاني الفروسية .

ومحاولة نفي هذه الحقيقة، ووضع الاصابع في الآذان، وإستغشاء الثياب، والصراخ بطريقة عبثية ، والتوهم بأن عدم إبصارها او سماعها يلغي وجودها ؛ كل ذلك يزيد المشكلة تعقيدا ويصنع ردة فعل معاكسة عند الطرف الآخر تظهر على صورة انحرافات سواء في المظهر و السلوك او في خبايا النفس .

- ٢ -

المثلية والدين.

تكمن المشكلة الكبرى حين تصبغ ردود الفعل "النفسية" تجاه قضية من القضايا بصبغة (دينية).

ونحن المسلمون ليس لدينا شك ان القران كلام الله وان كل ما فيه حق لا ننكر شيئا منه، ونحن والحمد لله نؤمن بالله ونعظمه وبرسوله ونوقره، ونؤمن ان لوطا عليه السلام نبي من الانبياء ارسله ربنا جل وعلا كما ارسل غيره من الرسل واهلك قومه كما اهلك غيرهم لاستكبارهم ، والذي يتكلم في قصة قوم لوط عليه السلام ثم يتناسى كل شيء فعلوه من تكذيب رسولهم وحربه وإيذائه ويجعل سبب إهلاكهم انما هو "المثلية" فهذا إنما يتكلم بالجهل!، فهل كان قوم نوح وعاد وثمود وقوم فرعون عندما أهلكهم الله "مثليين"؟.
بل وحتى لو تركنا كل ما كان يعمله قوم لوط وأردنا أن ننظر في امر "المثلية" عندهم فإننا حينئذ لا بد لنا من الإشارة إلى عدد من القضايا المهمة في هذا الباب:-

الأولى/ أن من الجهل والظلم وضع "المثليين" كلهم في سلة واحدة، "العاشق" مع "المغتصب".

الثانية/ عند غير المثليين مثل ما عند المثيين -عشاق ومغتصبين- فهل يسوي عاقل بينهم؟.

الثالثه/ لا شك ان "الاغتصاب" جريمة سواءا اكان فاعلها مثلي او لا.

الرابعة/ اذا فهمنا هذه النقطة جيدا فهل كان قوم لوط "عشاق" ام كانوا "مغتصبين"؟ لا شك انهم كانوا مغتصبين وانهم ارادوا الاعتداء على ضيوف نبيهم وهددوه بالقتل إن هو حاول الدفاع عنهم! ، ولهذا استحقوا من الله اشد العذاب مع كونهم عاشوا سنينا قبلها وكانت المثلية موجودة فيهم ولم يعذبوا بسببها.

الخامسه/ هل يفهم من ذلك ان الممارسة الجنسية المثلية حلال في الإسلام؟ بالتأكيد: لا ! فلا يوجد رجل في الدنيا صادق مع نفسه يقول ذلك إذ الإسلام يحرم الممارسة الجنسية خارج إطار الزواج ، ولكن هذه ليست هي المشكلة!، وإنما المشكلة حين يتوهم الناس أن التحريم في الإسلام يعني إلغاء الوجود ، وحين تستحضر فكرة "الخطيئة" التي في الأديان الأخرى لتحمل عليها نصوص الإسلام، بينما الأمر في الإسلام مختلف تماما {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}.

السادسة/ الإسلام لا يطلب الحالة الملائكية من الناس في اتباعه -الطبيعة البشرية في الإسلام أكمل من طبيعة الملائكة- بل هذه الملائكية مذمومة في الشرع متى صدرت من الناس **(5/1)**، ولذا لما قيل للإمام يحيى بن معاذ الرازي 871م : إن إبنك عشق! قال [الحمد لله الذي صيره إلى طبع الآدمي] فالأحوال الإنسانية شرف ورفعة للإنسان على جميع المخلوقات وهي نعمة تستحق الشكر {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}، وعليه فليس من المستغرب -بالنسبة للإسلام- ان يخالف "المثلي" المسلم بعض الأحكام الإسلامية لأن هذه هي طبيعته الإنسانية، كما ان غير المثلي يخالف أحكام الإسلام في أمور أخرى.

السابعة/ غرور المرء بنفسه وإعطاها القدسية وتسليطها على الناس بإسم الدين ذنب عظيم في نظر الشرع الاسلامي وانظر ان شئت في حديث [من ذا الذي يتألى علي]**(5/2)**، فكل من يحاول تشويه صورة "المثليين" بتصويرهم بصورة المطرود عن رب العالمين وكأنه هو (إبن إله) و المثليين (أبناء شياطين) فإن ذنبه أعظم من كل الذنوب التي عرفتها البشرية شعر بذلك او لم يشعر! لأنه جعل من نفسه رباً يزعم انه يدخل من شاء الجنة ويحرم من شاء منها كما فعل فرعون حين قال {أنا ربكم الأعلى}!! .

الثامنه/ الانسان خلق ليوافق ويخالف ويفعل ويترك، فليس "ملاكا" لا يعرف الا الطاعة {لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} ولا "شيطانا" لا يعرف الا المخالفة {وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ}، وهذه الطبيعة الخلقية للإنسان وصفها الله بأنها {احسن تقويم} فهي الصورة "المثالية" في الإسلام وفي فلسفة العرب! ومحاولة إخراج الإنسان منها وتشكيله بصورة اخرى مشوهة لا تمت الى البشرية بصلة هو امر مخالف لمراد الرب جل وعلا الذي خلق الإنسان على هذه الصفة وجعل كماله في قدرته على الجمع بين المتناقضات فهو يعلم ويجهل ويصيب ويخطئ ويسيء ويحسن ويقوى ويضعف ويبكي ويضحك إلى غير ذلك من أحوال الإنسان(**6/1**) ولذلك جاء في الحديث [والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم] "رواه مسلم" فجعل عدم وجود المخالفة سبب للعقوبة -الإستبدال-!، وفي الحديث القدسي [يا ابنَ آدمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا ثُمَّ لَقِيْتَني لاتُشْرِكْ بِيْ شَيْئًا لأتيْتُكَ بِقِرَابِها مَغْفِرَةً] "رواه الترمذي" فالإسلام ليس فيه عقدة التنقص للإنسان وأحواله ولا عقدة الخطيئة بل كل من رضي بالله ربا رضي الله عنه كما ترى .

والمقصود أن مثل هذه القضايا الإنسانية -الحب- لا توزن بميزان "ملائكي" وإنما توضع في سياقها البشري لأن الدين جزء من حياة الإنسان وليس هو الحياة كلها ومن هنا قال القاضي الجرجاني الشافعي (1001م) رحمه الله [والدين بمعزل عن الشعر] "الوساطة" وذلك أنه قضية إنفعال فني عاطفي فلا يُنتزع من هذا السياق البشري ويوضع في غير ميزانه .

التاسعة/ اذا فهمت ذلك وتأملته فإنك تستطيع وضع النصوص في سياقها الصحيح وفهمها كما اراد الله منها، فان الله عز وجل لم يرد منها عدم وقوع المخالفات من خلقه ولا اراد لزوم وقوع العقوبة على من فعلها ، وإنما المقصود من هذه النصوص (الحفظ على النظام الإسلامي العام) ومن هنا كان نظام العقوبات في الشرع ليس على الممارسات الجنسية نفسها ولكن على الممارسة للجنس في الأماكن العامة وهو ما يعرف في العالم اليوم بإسم "نظام الآداب العامة" فالمقصد الإلهي هو الحفاظ على الإطار الإسلامي العام للمجتمع وليس مراد الشرع إذن عدم وجود المخالفة له من الإنسان!، ولذا جاء في الحديث [إنَّ اللهَ لَيَعجَبُ مِنَ الشابِّ ليست له صَبْوةٌ!] رواه احمد وهذا الحديث من اعظم ما يكشف توازن النظرة الشرعية للقضايا الإنسانية، وهذا كله مما يبين لك طريقة فهم النصوص على وجهها ووضعها في سياقها البشري الصحيح قال الإمام الغزالي (1111م) [من أسرار حكمة الشريعة: أن كل ما يطلب الطبعُ فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد، جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان، والعالِم يُدرك أن المقصود الوسط] "إحياء علوم الدين" وقوم لوط إنما حملهم على الإغتصاب والتهديد بالقتل إتباع رغباتهم إلى الطرف الأقصى دون توسط، وهذا التطرف قد يتخذ صور متعددة إلا أن منشأه هو غياب الإطار الديني او الذوقي الأخلاقي في التعامل مع الرغبات، وهذه المشكلة هي التي حرص الإسلام على منع وقوعها.

العاشرة/ وقوع المخالفات من الانسان ضرورة بشرية جُبل عليها البشر فمن لم يفعل ذلك فليس بإنسان! ، وهذا الدين إنما شرع لـ"البشر" لا للملائكة فالنظر اليه ينبغي ان يكون وفق هذا الأساس (مراعاة الأحوال البشرية) وإلا وقع الخلل والفتنة وفساد الدين والدنيا، وأما مفهوم "التدين" الملائكي فهو مما إخترعه الناس ولم يأمر به الله قال تعالى {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ} والشرع يراعي في أحكامه كلها عند التطبيق "الأحوال الإنسانية" كالجهل والخطأ والمرض والإنفعالات العاطفية كالغضب ونحوه مما تتغير معه أحكام الشرع كما يعرف الفقهاء وينصون عليه في كتبهم، ولا شك أن أولى الإنفعالت العاطفية بالإعتبار هو (الحب) الذي هو أشرفها وأشدها في نفس الإنسان !، ونحن نرى في التاريخ العربي اخبار [قيس ليلى](**6/2**) الذي سموه "المجنون" إشارة إلى رفع المؤاخذة عنه في كل ما يفعل في حبه مراعاة لحاله العاطفية، وهو القائل في قصيدته الشهيرة "تذكرت ليلى" :

أَراني إِذا صَلَّيتُ يَمَّمتُ نَحوَها
بِوَجهي، وَإِن كانَ المُصَلّى وَرائِيا
وَما بِيَ إِشراكٌ، وَلَكِنَّ حُبَّها
وَعُظمَ الجَوى أَعيا الطَبيبَ المُداوِيا

الحادية عشر/ من فقه علماء المسلمين عبر التاريخ وعمق فهمهم للدين انهم يذكرون في كتبهم قصص العشاق "المثليين" وأخبارهم واشعارهم كما يذكرون قصص العشاق من غيرهم ولا فرق، ويبصرون جمالها ويثنون على اهلها ويدعون لهم اعجابا بهم ومن نظر في الكتب علم ذلك **(6/3)**، وذلك لانهم رحمهم الله كانوا يعرفون حقيقة [التدين] ويعلمون ان الصورة "الملائكية" للإنسان صورة قبيحة في حقه غير محمودة في الشرع ولا فاضلة في العقل، وانما الفضل كل الفضل ان يكون الانسان (كامل الإنسانية) فلا يجاوز حد بشريته ويطلب الخروج منها الى "ملائكية" كاذبة او "شيطانية" فاسدة.

وبعد ذلك كله يظهر لنا ان إصطناع الأزمة مع المثلية اليوم في الشرق الأوسط ومحاولة تشويه أهلها هو في حقيقته نابع من مشكلة (نفسية) وليست (دينية) كما يتوهم الناس، ومن الظواهر الغريبة -وهي كاشفة عن هذه الحقيقة- التي ظهرت مؤخرا في السعودية بسبب المعارك الإعلامية حول قضية المثلية ، انك ترى الناس في العالم الإسلامي اليوم لا مشكلة عندهم ان يخالفوا الكثير من الأحكام الإسلامية التي هي أهم وأكبر في ميزان الإسلام ولكن اذا قال لهم رجل (انا مثلي) عدوه من اهل جهنم**!!** ؛ فهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ان الأزمة في جوهرها أزمة نفسية لا أكثر ؛ ومن هنا فأنا أرى أن أي معالجة لهذه القضية يجب ان تنطلق من نقطة مخاطبة النفس البشرية بإعادة إحياء عواطفها الإنسانية وإيقاظ معاني الجمال فيها ، واي معالجة أخرى -دينية ، طبية، قانونية ...الخ- تنطلق من غير هذه النقطة فهي جهد ضائع لن يغير كبير شيء في عقول الناس لأنه لا يضع الأصبع على موضع الألم.

- ٣ -

المثلية في الثقافة العربية.

معلوم انه كلما رق قلب الانسان ولينته الظروف كان الى الله اقرب وصلته به اقوى: فالفقراء اكثر اتباع الانبياء، والمريض ليس كالصحيح، وذو الولد ليس كالاعزب، و "العاشق" ليس كغيره.

والمقصود ان العشق -كل عشق- اذا خالط القلب جعله انقى من ماء الغمام وابيض من الثلج واصفى من المرآة، وذلك ان "الحب" يكسر قلب صاحبه كما تكسر "الأمومة" قلب المرأة على اولادها، وتأمل ما شئت من اقوال العاشقين في القديم والحديث وانظر في اخبارهم تراهم كثيري التعلق بربهم والالتجاء اليه في حزنهم وفرحهم لرقة قلوبهم.

والانسان بلا حب يمسخ قلبه ويعود كالجماد لا روح فيه ولذلك كان الحب (ضرورة انسانية) فمن لم يعشق بنفسه فهو بحاجة الى مخالطة العشاق وسماع اخبارهم واشعارهم وإلا انسلخ من انسانيته وهو لا يشعر! ، ولما عد الإمام ابن حزم (994-1064) فوائد العشق قال [فكم من بخيل جاد، وقطوب تطلق، وجبان شجع، وغليظ الطبع تطرب، وجاهل تأدب، وتفل -مهمل للزينة- تزين، وفقير تجمل، وذي سن تفتى] "طوق الحمامة".

وإنكار الميل إلى الجمال والتغزل فيه هو إنكار للفطرة السليمة فإن [النفس الحسنة تولع بكل حسن] "طوق الحمامة"، قال إيليا ابو ماضي 1957 :

والذي روحه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلا

وقد مر الإمام ابن حزم 1064 -إمام المذهب الظاهري- نفسه يوما بسكة الحطابين في مدينة إشبيلية ومعه رفيقه الامام ابن عبدالبر 1071 -احد أعظم أئمة الذهب المالكي-(7) فلقيهما شاب مليح حسن الوجه فأعجب ابن حزم فقال له إبن عبدالبر [لعل ما تحت الثياب ليس هناك!؟] اي لعل الجسد الذي تحت الثياب ليس جميلا كالوجه فأجابه ابن حزم قائلا:

وذي عذل فيمن سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول:

أمن حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم انت قتيل؟

فقلت له: اسرفت في اللوم فإتئد فعندي رد لو اشاء طويل

ألم ترى أني "ظاهري" وأنني على ما بدا حتى يقوم دليل!

فمحاولة جحد هذا الميل الإنساني للجمال هو (الإنتكاس) الحقيقي للفطرة ولا يفعله الا مدع "كاذب" او "مريض" منسلخ من ثوب البشرية بل من الحياة كلها!، قال ايليا ابو ماضي 1957 :

اذا انت ابصرت الجمال ولم تهم كنت إمرأ خشن الطباع بليدا

وقال إبن أبي ربيعة 711م:

إذا أَنتَ لَم تَعشَق وَلَم تَدرِ مَا الهَوى فَكُن حَجَراً مِن يابِس الصَّخر جَلمَدا

فَمَا العَيشُ إلا ما تَلَذُّ وَتَشتَهي وَإِن لامَ فيهِ ذُو الشَّنان وَفَنَّدا

والعرب ترى حب الجمال من حب الله، وتجعل النظر في وجه المحبوب عبادة، والله يقول لموسى عليه السلام {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي} قال إبن عطية (١١٤٦م) [أعطاه ملاحة العينين] "المحرر الوجيز" ، وقد عد النابلسي (١٧٣١م) إنكار ذلك جرم في حق العباد و قطع للطريق إلى الله وإفساد في الأرض فقال [ومن جملة ذلك الطعن في محبة الحسن والجمال التي هي من صفات الله تعالى وصفات رسوله وأهل الكمال من المتبعين لله ولرسوله كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى] "غاية المطلوب في محبة المحبوب"، فإنكار هذه (المحبة النورانية) جرم في حق الإنسانية والدين والحياة.

وإعلم أن الحديث مع الناس عن المسائل العاطفية ومناقشتهم فيها ينبغي ان يكون [حديثا بشريا] وهو ما نعنيه حين نطلق لفظة "الانسانية"، وذلك انما يوجد في مجالات ثلاثة بها تُتناول مسائل الباب : "الشعر" و "الفن" و "الأدب".
وأما حمل المسائل العاطفية الى (قاعات المحاكم) وطرقها بمطارق القضاة والحقوقين فإنه يجردها من "إنسانيتها" ويميت جمالها في القلوب ويحولها الى مجرد مسألة "حقوقية" لا علاقة للمشاعر الانسانية بها.

ومن الاجرام كذلك في حق المسائل العاطفية وضعها على لوح التشريح والنظر اليها بنظرة [طبية] تجعل الحب مجرد "كيمياء حيوية" وتضع لأهله التقسيمات "التشريحية" و" النفسية" كما هو منتشر في العالم اليوم فإن فتنة الناس اليوم بـ(الطب) كفتنتهم قديما بـ(السحر) حيث مزجوه بمختلف مجالات الحياة وجعلوه "التفسير المنطقي" لكل ما حولهم من أحوال الناس!.

و"الذكاء الإجتماعي" و "الحس الفني" شيء و "العلوم الأخرى" شيء آخر وهي غير (الإنسانية) لأنها علوم محصلة من خارج النفس البشرية، فإن العلوم الإنسانية -التي هي الفنية واللسانية- هي ما حُصّلت من داخل الإنسان لترتقي بالإنسان .. فمنه بدأت وإليه تعود .

وبناءا عليه فإذا نظرنا في تاريخ الأدب العربي فإننا سنجد العرب وصلوا إلى أرقى الدرجات في فهم حقيقة المثلية! ، فالثقافة العربية تنظر للحب بجميع صوره على أنه أرقى الغرائز الإنسانية سواءا أكان بين "المثليين" أو غيرهم، ويدلك على ذلك: أن هذا التقسيم لا وجود له أصلا فيما كتبوه من كتب فإنك تراهم حين يتلكمون في باب "العشق" يوردون أخبار المثليين وغيرهم ويمزجون بينها في سياق واحد ولا يفرقون بينها، كما تجد عندهم للشاعر الواحد أبياتا في غزل النساء وأخرى في غزل الغلمان لأن "الجمال" شيء واحد !.

وينبغي الإشارة هنا إلى ان [المثلية العربية] لها مفهومها الخاص المغاير عن المفاهيم الموجودة في الثقافات الأخرى، فمن ذلك:-

1- المثلية العربية تشبه ما يسمى اليوم في العالم (bisexual) من بعض الوجوه، لأن طبيعة العلاقة المثلية في الثقافة العربية تختلف عن طبيعة العلاقة الزوجية فهي أشبه بصداقة مقربة للغاية يسمى الطرف الآخر فيها "غلام" (boyfriend) ، ولذا لا يتعارض في المثلية العربية الجمع بين حب الزوجة وحب الغلام لأن لكل علاقة منهما طبيعتها الخاصة، وهذه الطبيعة لكل علاقة منهما واضحة وثابتة سواءا جمع الشخص بين العلاقة الزوجية والعلاقة المثلية أو إكتفى بالغلام دون الزوجة **(11)** .

2- المثلية العربية هي حب "الرجولة"، فالغالب فيها عدم التأنث في لباس او كلام او اسلوب حياة، بل المثلي يحب في الرجل كونه رجلا فيعشقه من أجل ذلك -وهذا مشابه لما في الثقافة المثلية الروسية- **(8).**

3- ليس في المثلية العربية لباس يتميز به المثليون عن غيرهم و ينفردون فيه عن الناس، لأن الثقافة العربية ترى "الحب" شيء واحد لا فرق فيه بين حب الرجل أو المرأة، بل الأصل أجتماع الأمرين فلا يلغي أحدهما الأخر، فليس في المثلية العربية اذن الإغراب في المظهر لأن الثقافة العربية لا ترى "المثلية" (شذوذ) بل هي شيء طبيعي لا فرق بين صاحبه وغيره من الناس، والرجل الواحد قد يدخل في العلاقة الأولى مع رجل وفي الثانية مع فتاة والعكس وقد يجمع بينهما.

4- المثلية العربية هي (فتوة) -فروسية- بمعنى انها مقرونة بمنظومة "اخلاقية" و"فنية" و"رياضية"، فكلما كان الإنسان في هذه الجوانب الثلاثة أرقى كان أعظم (فتوة) **(12)** ،ولذا تجد في كتب الأدب أن المقدمين في مجالس المثليين هم من جمعوا بين: حسن المظهر، وحسن المنطق بالظرافة والمعرفة بالشعر والفن والغناء ونحو ذلك .

فهذه صورة من صور [المثلية] لها خصوصيتها وتميزها الذي يستحق ان يُظهر للعالم، لينشأ بذلك التنوع الثقافي الصحي الذي به يقوم التقدم الإجتماعي والفلسفي للبشرية والتبادل المعرفي بين الأمم.

- ٤ -

المثلية ومشكلات معاصرة.

إتفق العقلاء من بني البشر على أن (الحكم على الشيء فرع عن تصوره) فكل مسألة تتناولها بالحديث لا بد وأن تكون أولا قد عرفت حقيقتها وأخذت عنها تصورا صحيحا وإلا اتيت بالعجائب وكلا كلامك فيها بعيدا عن الواقع.

وللأسف الشديد عامة من يتكلم في العالم العربي اليوم في أمر المثلية من (اطباء) و (رجال دين) و (مثقفين) يجهلون حقيقتها! ، ولذلك تراهم يعجزون عن فهم اسبابها فضلا عن "علاجها" كما يزعمون.

فما هي [المثلية]؟ .. ولم يختارها من يختارها؟!

حتى تفهم المسألة لا بد أولا أن تعلم طبيعة العلاقة بين "الرجل" و "المرأة".

وذلك أن (المرأة بطبيعتها عاطفية) اي تغلب عليها العاطفة و (الرجل بطبيعته عقلاني) فكل منهما يكمل الآخر وهذا هو سر انجذاب كلا الجنسين لبعضهما.

وقد قرر القرآن هذه الحقيقة بقوله {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم (مَّوَدَّةً) وَ (رَحْمَةً) ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} فـ(المرأة) تبذل العاطفة -المودة- وتبحث عمن يحتويها ويداريها و (الرجل) يستوعب المرأة -الرحمة- ويبحث عن مودتها وعطفها.

ولكن الذي يحدث ان بعض الرجال تكون لديه [عاطفة] اقوى من التي تكون عند الرجل العادي!، وبالتالي فهو لا يشعر بالإحتياج إلى (إمرأة) تملأ هذا الجانب عنده لأن عاطفته زائدة عن حده فهو محتاج إلى بذلها لمن "يفهمه" و "يحتويه" -الأمر الذي ليس هو دور المرأة الطبيعي في العلاقة وإنما ذلك وظيفة الرجل- لا يجد هذا الشاب نفسه إلا مائلا إلى رجل مثله قادر على فهمه واسايعابه واحتواء هذه العاطفة القوية التي عنده ومن هنا سميت المثلية اليوم "مثلية" .

وقد اشار إلى هذا المعنى اصحاب المعاجم في كلامهم على سبب تسمية العرب للمثلية بـ(اللواط) حيث ذكروا بأن "لاط" في اللغة العربية تعني: الحب وشدة القرب والإلتصاق! .

ومن هنا حين سئل أبو مسلم الخرساني عن سبب تفضيله للغلام على الجارية أشار ألى هذا المعنى ايضا -وهو القرب والاتفاهم والإحتواء- بقوله [لأنه في الطريق رفيق، وفي الإخوان نديم، وفي الخلوة أهل -أي زوجة-] محاضرات الأدباء للأصفهاني: ٢/١٤٤ .

وكل من يتكلم عن المثلية اليوم محتاج اولا الى فهم هذه الحقيقة وإلا فإنه سيضيع في الخيالات البعيدة عن الواقع وسيخادع نفسه بالخرافات والأوهام التي إصطنعها من لا يعرف عن "المثلية" غير اسمها.

وفي الختام يجب ان نعترف بأن "الإنحرافات السلوكية" بإسم المثلية و "الأزمات النفسية" عند بعض المثليين ساهمت في تشويه صورة المثليين وإستعدت الناس عليهم، ولو قدم المثليون في الشرق الأوسط صورة حقيقية للعشق الروحي لربما اختلف الحال؛ فالخطأ إشتركت فيه جميع الأطراف.

وكذلك مزج المثلية بعداوة "الدين" من قبل بعض المثليين زادت من نفرة المجتمع العربي المتدين بطبعه ، ويجب ان يُعلم أنه ليس من الإنصاف لوم الناس على مالا سلطة لهم فيه -الأديان- ، وكل انسان له ان يؤمن بما يراه حق، وإنما تخاطب قلوب الناس ونفوسهم فيما يملكون امره من المشاعر والعواطف**(9)** دون الحاجة الى التلاعب وخلط الامور وتمرير الأغراض الشخصية عند البعض تحت غطاء "المثلية".

فالمثلية مسألة عاطفية لا علاقة لها بالإساءة للأديان او معاداتها وهذه الحقيقة يجب ان تستقر في نفوس المثليين انفسهم قبل غيرهم! .

واعلم ان الشعوب كلها يمكن ان تتصور الفصل بين الامور العاطفية و الدين بسهولة اذا لفت نظرها الى قصص العشاق في تراثها.

ففي تراث كل امة يوجد عشاق مروا بتجارب كانت محظورة في عرف اهل زمانهم ومع ذلك نجد الناس يتعاطفون معها إنسانيا بغض النظر عن خلفياتهم الدينية والإجتماعية فينظرون إلى اصحابها نظرة "الأبطال" المحاربين من اجل حبهم! .

فعند العرب (قيس وليلى) وفي اوروبا (روميو وجولييت) وفي الهند (هير ورانجا) وهكذا في كل امة، وقد ألف الحافظ مغلطاي المتوفى سنة ٧٦٢هـ وهو أحد علماء الحديث المشهورين كتابا بعنوان [الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين] ذكر فيه اخبار العشاق الذين قتلهم حبهم وعد من بينهم "فتيان" -أي مثليين- ولم يفرق بين انواع العاشقين!.

وكلامنا السابق كله إنما يصب في هذا الباب لعلاج ما اصاب الفطر من تشوه وإرجاعها إلى أصلها في النظر إلى العشق بنظرة إنسانية روحية تضعه في ارقى جماليات الحياة وتعده اطهر شعور فيها حتى ولو جاء بصورة خارجة عن المألوف -كعشق المثليين- [والعشق الروحي الصحيح إنما هو كالطفولة لا يعرف وجه "الفتى" إلا شبيها بوجه "الفتاة" فليس فيه تذكير ولا تأنيث] "رسائل الاحزان للرافعي".

وقد روى الإمام إبن الجوزي (1116-1201) في كتابه "ذم الهوى" عن أبي مسلمة المنقري قوله [كان عندنا بالبصرة نخلة -وذكر من حسنها طيب ثمرها- ففسدت حتى شيصت -اي لم تعد تقبل اللقاح فلا ينضج ثمرها- فدعا صاحبها شيخا قديما يعرف النخل فنظر اليها والى ما حولها من النخل فقال: هذه عاشقة لهذا الفحل الذي بالقرب منها! ،فلقحت منه فعادت إلى أحسن ما كانت]، وعن أبي احمد بن محمد الغنوي قال [خرجت إلى الكوفة فجاءني ظرفاؤها فقالوا: هاهنا فتيان تحابا وقد إعتل -مرض- أحدهما فنريد أن نعوده فقلت:خذوني تعودون العليل وأعود الصحيح! ، فمضينا فوجدنا فتى ملقى على سرير وفتى منكبا عليه يذب عنه وينظر في وجهه، فلما رآنا فرج لنا عن صاحبه، فجلس اصحابي حوله وجلست بإزاء الصحيح فكان العليل اذا قال "أوه من فخذي" قال الصحيح "أوه من فخذي" وإذا قال "أوه من يدي" قال الصحيح "أوه من

يدي"، إلى ان قالوا : قد قضى -مات- رحمه الله! فشد أصحابي لحي العليل -كفنوه- وشددت لحي الصحيح فما برحنا حتى دفناهما جميعا رحمهما الله] "ذم الهوى".

وللحديث بقية ..

تنبيه: إشتملت هذه الرسالة على حقائق "انسانية" لا يخالف فيها الا اهل الجفاء الذين نفروا عن فطرتهم حتى صاروا مسوخا بشرية (نسانيس) كما تسميهم العرب، و "النسناس" اسطورة عربية قديمة عن حيوان -the Neanderthals- كان بأرض اليمن يزعمون أنه على صورة البشر غير أنه بيد ورجل وعين واحدة -نصف إنسان- يتكلم كما يتكلم الإنس وليس منهم فصاروا يضربون بها المثل على "نقص الإنسانية" وانظر خبره في [معجم البلدان:٥/٣٥٨] و [حياة الحيوان الكبرى] للدميري .

(1) في الثقافة العربية "الشعر" هو الطريقة التي يكتب بها العرب أفكارهم وعلومهم وتاريخهم وفلسفتهم وأدبهم ، وهو ما يعني أن الشعر بالنسبة للعرب هو (لغة العلم) التي يُدون بها لأنه أجمل لفظا وأسهل في التذكر ، من هنا جاءت مقولة [الشعر ديوان -مكتبة- العرب]

(2) تذكر كتب التاريخ ان (الفتيان) كانوا قد قرروا قواعد "الاتيكيت" -اداب الطعام- فكانت تدرس عندهم دراسة وكان من آدابهم ايضا أن يتهادوا باقات الزهور والرياحين عند تلاقيهم، وكانت لهم آداب اخرى كثيرة في الصحبة والفروسية والشهامة والشعر والأدب وغيرها مما ينبئ عن جمال ارواحهم ورقي نفوسهم الذي جعلهم يولعون بكل حسن.

(3) مصطلح كانوا يطلقونه على غير المثليين معناه عندهم: غير مكتمل الرجولة والنبل والفروسية .

(4) فتاة عذراء.

(5/1) انظر في ذلك الكتاب الرائع [التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة] إسماعيل الفاروقي .

(5/2) عن ضِمام قال: دخلت المسجد فدعاني الشيخ فقال: يا يماني، فجئتُ، فقال: لا تقولنَّ لأحدٍ (واللهِ لا يُدخِلُك اللهُ الجنَّةَ) (واللهِ لا يغفِرُ اللهُ لك)، فقلتُ: من أنت يرحَمُك اللهُ؟ قال: أبو هريرةَ، فقلت: يا أباهريرة واللهِ لقد عبتَ عليَّ أمرًا كنت أقولُه لأهلي ولِخَدمي إذا غضبتُ عليهم، قال: فإني سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ [كان رجلانِ في بني إسرائيلَ متواخيانِ، فكان أحدُهما مجتهدًا والآخرُ مُذنِبًا، كان المجتَهِدُ يقولُ للمُذنبِ: أقصِرْ، فيقول المذنبُ: خَلِّني وربي، حتى وجده يومًا على عظيمة، فقال له: أقصِرْ، قال: خَلِّني وربي بُعِثتَ عليَّ رقيبًا؟! فقال: واللهِ لا يُدخِلُك اللهُ الجنَّةَ، فبعث إليهما ملكًا فقَبَضَ أرواحَهما، فقال اللهُ تبارك وتعالى للمُذنبِ: (ادخُلِ الجنَّةَ برَحمتي)، وقال للآخر: (أكنتَ قادرًا على ما في يدي ، أتستطيعُ أن تمنعَ عبدي رَحمتي، أدخِلوه النَّارَ)]، قال أبو هريرة: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: [تكلَّم بكلمةٍ أوبَقَت دنياه وآخرتَه] رواه البزار وأصله عند مسلم.

Damam bin Al-Harith sagte: Ich betrat die Moschee, also rief mich Imam "Abu Huraira", ein Freund des Propheten Mohammed, an Dann sagte er [sag niemals niemals zu irgendjemandem: Gott wird dir nicht vergeben oder dich nicht ins Paradies einlassen], Ich antwortete ihm: Dies ist ein Wort, das einer von uns zu seinem Bruder und Gefährten sagt, wenn er wütend ist!, er sagte: [Tu das nicht noch einmal, denn ich hörte den Propheten Muhammad sagen (Es gab zwei Männer unter den Kindern Israels, einer von ihnen war fleißig in der Anbetung, und der andere war ein unmoralischer Mensch. Immer wenn der Anbeter sah, wie der Sünder eine Sünde beging, sagte er zu ihm: Oh Mensch, wann bereust du?, Der Sünder sagt: Lass mich mit meinem Herrn allein, Der Herr hat dich nicht gesandt, um über mich zu wachen, Der Anbeter sagte: Ich schwöre, Gott wird dir nicht vergeben, noch wirst du ins Paradies eingehen, Als sie dann starben, sagte Gott zu dem Sünder: Geh in den Himmel mit meiner Barmherzigkeit, Und Gott sagte zu dem Anbeter: Woher weiß du was ich mit dieser Person tun werde?, Besitzt du den Himmel? , du bist kein Gott mit mir, um Menschen zu richten! , fahr zur Hölle)].

(6) فصلت هذه المسألة في كتابي [مفهوم "الإنسانية" في الثقافة العربية]، وهو الجزء الأول من الثلاثية .

(6/2) من التقاليد العربية الجميلة التي ربما لم تسمع بها الشعوب الأخرى أن العرب يعطون للعاشق اسم معشوقته فينسبونه إليها ، فمن مشاهير العشاق عند العرب [قيس ليلى 688م] وهو أكبر عشاقهم، و[كثير عزة 723م] و [جميل بثينة 701 م]، و[قيس لبنى 680م] ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الرضاعة ، وجميعهم شعراء عظام لهم دواوين مشهورة؛ وكلهم منسوبون إلى معشوقاتهن كما ترى ، فهذا التقليد العربي هو تماما عكس التقاليد الاوروبية التي تأخذ فيها الزوجة اسم زوجها.
والحقيقة ان الثقافة العربية والثقافات الاوروبية في كثير من الأحيان تكون كوجهي العملة المعدنية تلتقيان في نفس النقطة ولكن بصورتين متعاكستين وهذه ظاهرة أنثروبولوجية عجيبة!.
ومن الأمثلة الطريفة على ذلك أيضا أن [الجمعة السوداء] تسمى في السعودية [الجمعة البضياء].

(6/3) في الكتاب الماتع [كوميديا السحر] للأستاذ حسين الجبوري الصادر عن "دار الورّاق" فصلان ماتعان في صورة الوجود المثلي في كل من (العهد النبوي) و (المجتمع العراقي الحديث) مما يكشف عن إمتداد توفر البيئة الصحية للمثلية في المجتمعات العربية على طول خط التاريخ.
ومن فوائد الكتاب أنه أشار إلى النقطة الزمنية التي حدث فيها التغير في المجتمعات العربية من الإنفتاح على هذه القضايا إلى معاداتها!.
ومن فوائده ايضا أنه أجاب على مسألة دخول المتحولين إلى حمامات النساء ونحوها.
وهذه كلها من الفوائد في غير المظان! والكتاب بالجملة مليء بالنقول النفيسة، وهو مفيد في بابه لولا بعض التعليقات من المؤلف التي فيها جرأة وعجلة.

(7) الإمام "ابن حزم" هو مؤسس المذهب (الظاهري) أحد المذاهب الخمسة في الإسلام السني ، و الإمام "ابن عبد البر" أشهر علماء المذهب (المالكي) الذي هو ايضا أحد المذاهب الخمسة في الإسلام السني، و ابن حزم وابن عبد البر كلاهما من أعظم علماء الإسلام.

(8) ذكر التوحيدي في "الإمتاع والمؤانسة" أنه كان ببغداد وحدها خمسة وتسعون غلاما جميلا يغنون للناس وكان يحضر مجالسهم الكبار والصغار وأصحاب النسك والوقار، وكان من بينهم غلامين اسم أحدهما (بشرى) والآخر (جميلة)؛ وهذا يشير إلى أن المثلية العربية تستوعب في داخلها هذه الصور المتنوعة من المثلية إلا أن السمة العامة فيها هي [الذكورة].

(9) من العقلاء في زماننا الذين أشاروا إلى هذه الحقيقة السيد "حمزة يوسف" رئيس وزراء اسكوتلاندا في لقاءه مع سكاي نيوز، وقد اسعدني كون كلامه يوافق بعض الطرح الموجود في هذا الكتاب.

(10) يقول أفلاطون [الجدير بالذكر أن الإغريق كانوا يعتبرون عشق الرجال للغلمان وساما يضعه هؤلاء الرجال على صدورهم ،كما كانوا يحتقرون الرجل الذي يفشل في جذب الغلمان إليه] "المحاورات"، وفي عام 338 ق.م تم تدمير (كتيبة ثيفا المقدسة) وهي كتيبة النخبة التي لم تهزم من قبل ،والتي تتكون من مئة وخمسين من الأزواج -300 فارس- المتحابين الذين يقيمون علاقات جنسية مثلية بين بالغ ومراهق ،وهم قوات فيليب الثاني المقدوني الذي تحسر على خسارتهم ومدح شرفهم .. فأنت ترى شدة التشابه بين صورة المثلية العربية والإغريقية.

(11) وفي التراث العربي اسطورة درامية أعدها أنا من أجمل ما يمثل مفهوم المثلية في الثقافة العربية، وهي قصة عشق ديك الجن (850 م) : وهو شاعر ورث من والده مالا كثيرا، فكان يعيش على هذا الميراث وأخذ ينغمس في كتابة الشعر وفي الملذات، وكان عاشقا لزوجته "ورد" ولغلامه "بكر" وكتب القصائد في كل منهما، وكان لديك الجن إبن عم له يحسده على ماله الذي ورثه ولا يرتضي طريقته وفُتُوّتَه، فإختلق قصه رواها لديك الجن عند عودته في أحد الأيام من رحلة قصيرة يزعم فيها وجود علاقة بين زوجته ورد وغلامه بكر، فجن جنون ديك الجن من الغيرة فقتلهما، ثم عرف بعد ذلك حقيقة هذه

الخدعة فغرق في الحزن، وقرر ان يحرق جسديهما ويصنع من رماديهما كأسين وضع احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فكان يشرب فيهما الخمر كل ليلة ويقبلهما وهو يبكي وينشد الأشعار في حبهما.

(12) وهنا فرق اراه مهما بين تصنيف المثلية في الثقافة العربية وغيرها، فالتصنيف العربي (الفتوة) تصنيف واسع وليس محصورا في الجانب الجنساني، لأن الجنسانية هي جزء من تكوين الشخص وليست هي حياته كلها، فالإنسان أكبر من أن يحصر في إطار الجنسانية، ولهذا اجد التصنيف العربي اصدق تمثيلا للإنسان بكل مكوناته الأخلاقية والفنية والعقلية والبدنية والجنسانية والإجتماعية، بينما أجد التصنيفات الضيقة غير مريحة.